

التي يعتمد عليه اتخاذها ويطبقها على نفسه بالفعل
وانت يا هذا اذا أصبت ذات يوم بمرض فلا تحمل اللوم على قواعد حفظ الصحة
وقلة غنائها ولا على ضعف العلم بل ان الذنب في ذلك على اجدادك ومواطنيك



رحلة الى جبل قلمون

يعد جبل قلمون بين جبال سورية من اساساً باماء وهواء وانباتاً ومع هذا لم يشتهر
اشتهار جبال لبنان وحرمون والكلية واللكام على قربه من دمشق قاعدة بلاد الشام .
وكان يقال له في القديم جبل سنير وبذلك عرفه البغرايون والمورخون والمشعرا .
قال ابن خرداذبة في المسالك والممالك وهو مما ألف منذ نحو الف سنة ان كورة دمشق
واقايتها سهل الغوطة اقليم سنير مدينة بعلبك البقاع اقليم لبنان كورة جدرية كورة
اطرابلس كورة جبيل بيروت صيدا البقعة كورة حوران كورة الجولان وظاهر البقاع
وحوالى الغور وكورة ناب وكورة جبال وكورة الشرا وبصرى وعمان والجاية . فاقليم
سنير هو من اقرب الاعمال الى دمشق ولم نظفر له بتحديد اجمع من تحديد ياقوت في
"معجم البلدان" . قال ان سنير بفتح اوله وكسر ثانيه ثم ياء متجمعة باءتين من تحت جبل
بن حمص وبعلبك على الطريق وعلى رأسه قلعة سنير وهو الجبل الذي فيه المناسخ يمتد
غرباً الى بعلبك ويمتد مشرقاً الى النزيين وسليمة وهو في شرقي حماة وجبل الجليل
مقابلهما من جهة الساحل وبينهما الفضاء الواسع الذي فيه حمص وحماة وبلاد كثيرة .
وهذا جبل كورة قصبتها حواريين وهي القريةين ويتصل بلبنان متيامناً حتى يلتحق
ببلاد الخزر (٢) ويمتد متيامراً الى المدينة وسنير الذي ذكرناه بين حمص وبعلبك
شعبة منه الا انه انفرد بهذا الاسم وقد ذكره عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان
الخفاجي فقال من قصيدة

أسيم ركابي في بلاد غربية من العيس لم يصرح بهمه بعير
فقد جهلت حتى اراد خبيرها بوادي القطين ان يلوح سنير
وكم طالبت ماء الاحس بآمد وذلك ظلم للرجال كبير

وقال المجترى

وتعمدت ان تظل ركابي بين لبنان عالماً والسنير
انتهى كلام ياقوت جاء في ابي الفداء ان الجبل الشرقي المندشالي الشام كان
يدعى سنير في عهده وقد ورد سنير في التوراة فقال الدكتور بوست في ناموس الكتاب
المقدس : سنير (درع او شلالة) اسم قسم من جبل الشيخ (حرمون) (١ اي ٥ : ٢٣)
— و حز ٢٧ : ٥ (وقال ياقوت في القلن ان : بفتح اوله وثانيه برزن قريوس وهو
فعلول قال الفراء وهو اسم واتشد

بنفسى حاضر بجنوب حوضى وايات على القلمون جوف
ومن القلمون الذي بدمشق بحثري بن عبيد الله بن سلمان الطائى الكابي من اهل
القلمون من قرية الافاعي وقال في القاموس قلمون محرقة موضع بدمشق . الناج ان
القلمون رومية وحرفها اصلية . وكلمة تالا بالرومية طيب ولعله الجبل الطيب او نحو ذلك
— و حار بن التي قال عنها ياقوت انها القريتين هي قصبة جبل سنير وهي كما قال في مكان
آخر حصن من ناحية حمص قال بعضهم

يا ليلة بحرارين ساهرة حتى تكلم في الصبح العاصير

وقال احمد بن جابر مر خالد بن الوليد في مسيره من العراق الى الشام بتدمر والقريتين
ثم اتى حوارين من سنير فاغار على مواشي اهلها فقاتلوه وقد جاءهم مدد من اهل بعلبك
ثم اتى مرج راهط وفي كتاب الف نوح لابي حذيفة اسحاق بن بشير وسار خالد بن الوليد
من تدمر حتى مر بالقريتين وهي التي تدعى حوارين وهي من تدمر على مرحلتين وبها
مات يزيد بن معاوية في سنة ٦٤ قال الراعي

انحن بحوارين سيف مشجرة بيت ضباب من فوقها وتلوح

وقال ايضا والقريتان قرية كبيرة من اعمال حمص في طريق البرية بينها وبين
مخنة وأرك اهلها كلهم نصارى وقال ابو حذيفة في فوح الشام وسار خالد بن الوليد
رضي الله عنه من تدمر الى القريتين وهي التي تدعى حوارين وبها وبين تدمر مرحلتان
واياها شئ ابن قيس الرقيات بقوله

ومرت بغلتي اليك من الشا م وحوارات دونها والعوير

وسواء وقريتان وعن ا تمر حزن يكلي فيه البعير

فاسنقت من سجاله بسجال ليس فيه من ولا تكدير

وقد سألنا العارفين فأكدوا لنا ان حوارين بعيدة عن الزرتين بنحو ثلاث ساعات وأثارها بادية الى الآن وما نظن انها كانت قصبة جبل سنير فيما مضى الا في امورها الادارية كما نرى اليوم تسميا من جبل قلمون تابع لقضاء دومة الشام والتسم الآخر وهو الاعظم تابع لقضاء النبك وقسم منه تابع لحمص ويقول الخبيرون من اهل هذا الجبل اليوم ان جبل قلمون يمتد من الدريج الى البريج وهو تحديد معقول جداً لانك ترى في الدريج وهي مزرعة في رأس جبل قرب عين صاحب بن مربا وحلبون سلسلة جبال جديدة تكاد تكون منفصلة بعضها عن بعض وفي البريج وهي على نحو ثلاث ساعات من قارة القاصد الى حمص ويمتد شمالاً الى الجرود على بضع ساعات من بعلبك وجنوباً الى البرية وتجتاز المسافة من الجنوب الى الشمال لراكب الإطيا في يوم كما يقطع طول الجبل من غربه الى شرته في يومين . واوصل بعضهم طول الجبل الى وادي القرن قرب البقاع . ويدل على ان آخر حدود الجبل هو في البريج من ناحية حمص ما قاله الاصطخري من ان الطريق من حمص الى دمشق هو عشرين فراسخ من حمص الى جوسية ثم الى قاراثلون ميلاً ثم الى النبك اثنا عشر ميلاً ثم الى القطيفة عشرين ميلاً ثم الى دمشق اربعة وعشرون ميلاً . وجوسية كما في المعجم قرية من قرى حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق بين جبل لبنان وجبل سنير فيها عيون سقي اكثر ضياعها سباً وهي كورة من كور حمص .

وقتل الله كثير من ائمة النيك في المرأة الوخية نقلاً عن ابي الفداء انه قال ان سنير هو جبل الشيخ او قسم من . ولذلك رأينا قائدك سيف جغرافيته يذكر بعض امهات قرى جبل قلمون او سنير بحسب المقاطعات التي كان مرفقاً بها عند الحكومة على عهد تأليفه ولم يذكر انها من اعمال جبل مشهور فقال : والى الشمال من دمشق مقاطعة يقال لها جبة عسال نسبة الى مكان يقال له عسال الورد لكثرة الورد الذي فيه ومن اشهر قراها صيدنايا وفيها دير لراهبات طائفة الروم والى الشمال الشرقي مقاطعة معلولا نسبة الى قرية فيها حصينة مبنية على قمة هناك لا يسلك اليها الا من مضيق مستوعر وفيها دير عظيم لطائفة الروم وقد حدث في سنة ١٨٥٠ للمسيح ان امرأتين بنيتي الحرفوش اصحاب بعلبك تحصنوا بها بعد وقعة جرت لهم مع اجناد دمشق فجهم عليهم عسكر الدولة الى معلولا بوسيلة من بعض اهلها فقتلوا بعضهم واسروا بعضاً ونهبوا الزرية والدير وحول معلولا عدة من القرى كعين التينة وبنجعة وغيرها ولم يزل اهل تلك النواحي يشكون باللغة الاسريانية لكنها محرفة كثيراً عن اصلها كعربية العامة في هذه الايام والى الشمال الشرقي

من معلولا مقابلة يبرود نسبة الى قرية كبيرة فيها بعض آثار قديمة وفي جوارها رأس العين ومعرة باش كردي وفليطا وسحل والقسطل والى الشمال الشرقي من القسطل النبك وما بين النبك والقوطة يسمى الارض الثنية وفي هذه الارض يمر الطريق من دمشق الى بغداد وفي جوار النبك قارة وهما اعدل مكانين في تلك الديار حتى يضرب المثل بجودة هوائهما ومائهما وقد لجت بهما الشعراء كثيراً قال بعضهم

إذا ماجت الرضا ذكر كرك بردت حشاي كأنني بين قارة والنبك

والى الشمال الشرقي من النبك دير عطية وقال الحافظ ابو القاسم ومعلولا اقليم من نواحي دمشق له قرى وقال ياقوت في منين : قرية في جبل سنير من اعمال الشام وقيل من اعدل دمشق بها الشيخ صالح ابو بكر محمد بن رزق الله بن عبيد الله قال يانوت وكانت من ثقات المسلمين ولم يكن بالشام من يكنى بابي بكر غيره خوفاً من المعسر بين (الشيعة) توفي سنة ٤٢٦

فاهم بلاد الجبل يبرود وكانت هي والنبك من امهات ديملكة صوبه اوصوب القديمة وهذه المملكة كانت في شمالي سورية تمتد من شمالي لبنان الشرقي نحو حمص وحماة وحلب وهي قاعدة الجبل ويقل سكانها عن عشرة آلاف منهم مسيحيون والكلان مسلمون وتكاد تكون اشد بالندى منها باقرى لتوفر مرافق الحياة فيها وكثرة سكانها صلاتهم تجارية مع دمشق وبيروت وحمص وحماة وعلبك ولوفرة المهاجرين من الاميركا ويبلغ عددهم نحو الف رجل ومنهم الذين اغتنوا وفي يبرود عدة مدارس للمسيحيين على اختلاف مذاهبهم منها مدرسة للروم الكاثوليك انشأها احد احبارهم منذ زهاء عشرين سنة فوهبها ثلثمائة ليرة من ماله وفرض على ابناه طاقته ان يشغلوا فيها بايديهم ايام الاحاد والاعياد فجاءت مدرسة كلفت زهاء الف خمسة مائة ليرة وقد اشتغل بعضهم بنقل التراب وآخر بحلب الحجر وغيره بالبناء وبامثال هذه المدارس اصبح المسيحيون ارقى من جيرانهم المسلمين لان الاول يتعاون والاخرين يهملون وكانت الحكومة البائدة تزيدهم خيالاً الى خيالهم وابس لهم من اهل الرأسية والعلم من يشفق عليهم ويسعى الى ترفيتهم ترقية حقيقية كما هو حال مواطنيهم

اقول هذا ولا نكران للحق ان ارتقاء المسيحيين عن المسلمين مائل على اشد صوره في هذا الجبل وكيف لا يكون كذلك والاراسيات الدينية من الروس والانكليز والفرنسيين لم تكد تترك قرية الا واقامت فيها مدرسة للتثقيف عقول ابناءها على مناحي اهل ان جمعية

دينية اقامت لها مستشفى في دير عطية البلد الثاني في الجبل بكثرة سكانه واستجار عمرانه ودير عطية هذه هي والنبك (مركز حكومة القضاء) في وادي كانت يعرف قديماً بذات الذخائر وادي الذخائر قال ياقوت والنبك قرية ملحجة بذات الذخائر بن حمص ودمشق فيها عين باردة في الصيف طيبة عذبة يقولون يخرجها من برود وقال الزاجر اني بك اليوم واني منك ركبنا انا وانا موهبا بالنبك

واطلعت في دير عطية على حجة وقف نقلت حوالى الالف عن حجة كسبت سنة ثمان وسبعائة للهجرة محفوظلة عند كفيف من اهلها اسم الشيخ عبد القادر الناطر جاء فيها ان « الست الجليلة سالحة خاتون ابنة الامير الكبير صلاح الدين بن بيهوان ابن الامير الكبير شمس الدين الاكبري الآمدي وقفت وحسبت وأبدت في صحة ما وسلامة وجواز امرها جميع الضياع الخمس المتلاحقات العروات وادي الذخائر عمل دمشق المحروسة وتعرف احدها من بالويضا والثانية باريضا والثالثة بالايضا والرابعة بدير عطية والخامسة بالحرا » وقد صدقت على هذه الوقفية محكمة نارة ولا يعرف اليوم من هذه القرى غير دير عطية والحيرة وسيفي دير عطية مرسية للعلوم الدينية والسرية انشاها الشيخ عبد القادر القصاب الازهري الدير عطية فحجت منها فرائد جليلة وفيها الآن نحو ٥٠ طالباً وقد تعلم بعض الطلبة فابانوا عن كفاءة فيما اخذوا انفسهم بتعليمه

ومن اهم قرى قلمون الرحبية وجبرود وعلى مقربة من هذا البلد مملكة دائرة محيطها ثمان عشر ميلاً وهي في سهل منبسطة ينحدر اليها ماء المطر من الشمال ويجتمع على علو يخزن بين ٣٠ و ١٠٠ سنتمتر وفي اوائل شهر ايار يتحول ذلك الماء فتحاتاً ايضاً نيكاً مرأ وهذا البلدان من قلمون تحتاني وفيه ايضاً الضمير وفيها عين كبريتية ينفع الاستحمام بها المصابين بالامراض الجلدية وارض هذه القرية او البلد حارة تبلغ غلاتها قبل سائر قرى الجبل حتى ان الشعير ليحصد فيها في شهر نيسان ويحمل الى عيال في جرد الجبل الباردة ويزرع في الحال فيحصد في تموز وهذا من اعجب ما يكون في اقليم واحد والمسافة بين الضمير والجرد نحو عشر ساعات

قال في المعجم ضمير بالتم غير موضع قرب دمشق قيل هو قرية وحصن في آخر حدود دمشق مما يلي السامرة قال عبيد الله بن قيس الرقيات

افقرت منهم الفراديس فالغو طة ذات القرى وذات الظلال

فضمير فالماطرون لخورا بن قفار بسايس الاطلال

نصب الماطرون على ان نونه للجمع وهذه المواضع كلها بدمشق وقال المتنبي

لئن تركنا شبراً عن ميامنا . ليحدثن لمن ودعتهم ندم
 وقال الفرزدق يرثي عمر بن عبد الله بن معمر النخعي وكان قد مات بضمير من دمشق
 يا معشر الناس لا تبكوا على احد . بعد الذي بضمير وافق القدر
 مامات مثل ابي حفص لمحمة . ولا لطالب معروف اذا انقرا
 منهن ايام صدق قد ميت لها . ايام فارس فالايام من هجرا

يعني قتاله لابي نديك الحروري

ومن ام قرى قلمون التي تاتي القطيفة وهي مركز مديرو ناحية تابعة للنبك جاء سيف
 الهجوم انها قرية دون ثنية العقاب للقاصد الى دمشق في طرف الربة من ناحية حمص
 وثنية العقاب هي ثنية مشرفة على غوطة دمشق يطوها القاصد دمشق الى حمص قال
 اهل السير ان خالد بن الوليد سار من العراق حتى اتي مرج راعط فانار على غسان في يوم
 فصحه ثم سار الى الثنية التي تعرف بثنية العقاب المظلة على دمشق فوقف عليها ساعة
 ناشراً رايته وهي راية كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تسمى العقاب لما لها
 ومن قرى الجبل البديعة قرية معلولا يدخل اليها من الشمال من شج طيبعي في
 الجبل وهي حسيمة متينة وبوكد بمض العارفين انها هي مدينة سلفكيا بعينها احدى امهات
 مملكة سلوقس احد خلفاء الاسكندر الاربعة الذين اقتسموا مملكة بينهم بعد وفاته
 فانشبت الحرب عام ٣٠١ ق م ودارت الدائرة على الملك انتيوخوس وابنه ديمتريوس فاقتسم
 اذ ذاك قواد الاسكندر مملكته الى اربع تمالك الاولى ممر اخذا بطليموس سوتير مع
 بر العرب وجزء من بر الشام اي تلك المدن والمدينة مكدونية وبلاد اليونان اخذا كاساندر
 والثالثة ثراقيا وبسينا وبعض اطراف آسيا الصغرى اخذا ليسيماوس والرابعة بقية
 المالك من البحر الاسود الى نهر لاندوس في المند اخذا سلوقس وسميت مملكة سورية
 ومن اشهر مدنها انطاكية وسلوسية وناحية والاذقية . ولا يزال الى اليوم يكثر سيف
 يادها على آثار تدل على عمرانها القديم الفخيم . واهلها وهم نحو ثلاثة آلاف يتكلمون
 بالسرانية المحرفة كما تقدم وفي جوار معلولا نجما وجعدين واهلها ايضا يتكلمون بهذه
 اللغة كما ان اهل قلدون يتكلمون بالتركية المحرفة قليلاً ويقال ان اصلهم من التركان
 نزلوا هذه القرية منذ سنين واخلطوا باهل الجبل . وكان بالقرب من قلدون ثلاث
 مزارع يتكلم اهلها بالتركية ايضا وهي دنخا وخر بوشة والكيسة الا انها دثرت . وعلى
 مقربة من معلولا قرية عين الثنية وكان اهلها كما يقول جيرانهم المسيحيون نصارى بعبادة

دانوا كلهم بالاسلام منذ زهاء قرنين وقلبوا الاوضاع المسيحية باوضاع اسلامية حتى
 اقم يطلقون على بيت الحوري بيت الحوري بالاسمال وفي هذه القرية شجر الفستق
 المديم ولا يزال ينترض لان اهلها لا يجدون غرسه وهذه القرية هي الوحيدة في
 قرى ولاية سورية التي تخرج الفستق وهو من احسن الانواع لا يكاد يضاهيه بجودته
 فستق روم قلعة من اعمال حلب

طفت هذا الشهر أمهات قرى قلمون وكنت زرتها منذ عشر سنين فرأيت عليها
 مسحة من الارثقاء انتهت في الغالب من المال الذي جناه من اميركا المهاجرون من القلمونيين
 وفي قرية معرة صيدنايا وصيدنايا ويرود ودير عطية مثلاً بيوت جميلة أقيمت بالحجر
 الصلد انجيت لي مثل بيوت لبنان الجديدة ومن البيوت ما كلفت التي ليرة وربما أكثر
 اما سائر معالم الجبل فظلت على حالها او احدثت بعض الشيء بطبيعة الزمن . وقد اشترك
 في الهجرة الى اميركا سكان الجبل من المسلمين والمسيحيين الا ان عدد هؤلاء أكثر
 والتاجعين منهم اوفر ويقدر عدد المهاجرين من الجبل بنحو اربعة آلاف رجل تنجح
 منهم في الأكثر من اعتادوا شطط العيش مثل مهاجري دير عطية والنبك وصيدنايا
 والمرة ومملولا وقارة اما الترقون او الذين اعتادوا الزحف قليلاً فالحق سعيهم وانقطعوا
 او كادوا لفلة ذات ايديهم . ولا يعلم على وجه الصحة ما يبعث به المهاجرون القلمونيون
 من التقود كل سنة اذ ليس ثمة احصاء مدقق وغاية ما يقال ومنه يستنتج ما يقرب من
 الحقيقة ان معدل عدد الرسائل التي ترد من المهاجرين كل سنة الى اهلهم في الجبل يبلغ
 ثمانية رسالة . هذا في القرى التابعة لقضاء النبك وهي مركز الجبل ومزدهم الاقدام
 وفيه من القرى ٢٨ قرية و ١٢ مزرعة . وباني قرى الجبل وهي ١٣ قرية تابعة لقضاء
 دور . فاذا فرضنا انه يأتي من المهاجرين في السنة الف رسالة وهو اقل تعديل ولا يكسب
 لاهله الا الناحج منهم في العادة ويرسل كل واحد ثلاثين ليرة فيكون معدل ما يصل من التهود الى
 قلمون ثلاثين الف ليرة . وهو مبلغ لا يستخف . بالنسبة لفقر الجبل ولو كان هذا المال يأتيه مع توفر
 العناية بالزراعة وتربية المواشي وغرس الأشجار والغابات لكان الجبل من اعمر جبال العالم .
 و يبلغ عدد نفوس الجبل باحصاء الحكومة ٥٨١٢٧ نسمة بين ذكر واث منهم
 ٤٤٥٥٧٤ في القرى التابعة لقضاء النبك اليوم و ١٢١٥٥٣ في القرى التابعة لدومة وعدد
 المسلمين في قضاء النبك ٤٠٦٦٠ وعدد الروم الارثوذكس ١٥١٥ وعدد الروم الكاثوليك ٢٩٢٠

وعدد السريان الكاثوليك ٣٩٩ وعدد البروتستانت ٩٠ واربعمائة عدد المسيحيين في الثلاث عشرة قرية التابعة لقضاء دومة ٢٥٠٠ نسمة

وبلغت اعشار النرى التابعة للنبك هذه السنة ١٥٤٤٣١٧٥ غرشاً واعشار القرى التابعة لقضاء دومة ٤٣٩١٣٥٠ غرشاً واهم قرى الاولى الغنية ببيروود والرحبية وجبيروود والصغير وقارة والنبك ودير عطية ومعلولا واهم قرى القضاء الثاني التل ومنين وحابون وتلفينا وصيدنايا ومعرة صيدنايا وبانيها مزارع واشب بها .

ويقسمون قلمون بحسب موقعه الطبيعي الى قسمين فوقي وتحتي فمن قرى الفربي او الفوقاني رنكيس وحريش عرب وهي تعلو عن سطح البحر ١٧٧٠ متراً وعسال ولفيل والجبلة ومعرة باش وفليطا والسحل وقارة وعرسال ودير عطية والنبك وبخعا ورأس العين وبيروود وجبعدين ومن التحتية النواني وعكوير وبدا وحفير الفوقا وحفير التلنا وحلة ومعلولا والتسطل وعين التينة والقطيفة والمعظمية وجبيروود والرحبية والصغير ومعرونة وتلفينا وصيدنايا ومعرة صيدنايا والتل ومنين وحزنة ومعظاية والدرج ومعربا وحابون وهي التي تخزن الثلج في الربيع في جردها وتأقي به كل مابولى دمشق ونشاركها في بيع الثلج قربنا اوفرة او قفرة وقرية منين

وتعد زراعة قلمون من الدرجة الثالثة ولو تولدت دعائم الامن فيه لاستطاع اهل القرى القريبة من البرية للشرق ان يزرعوا تلك السهول الفسيحة ويستفروا بالمراعي البعيدة عن القرى ساعات . واكد لي العارفون بان الامن اذا استقر في نصاب وأمن القضاء من غارة اشقياء العرب والدروز على المواشي والزروع تكثر مواشي كثيرة زائدة ويقتني الفلاح والحكومة فقد نهب العرب والدروز منذ نحو سبع سنين زهاء مئة وخمسين الف رأس من الغنم والماعز لوسلت لاربابها لكنت بلغت الآن على اقل تعديل مليون رأس ومعدل ربح الرأس مئة قرش هذا بما هو موجود اليوم من مواشي الجبل

ونس مثل جرود قلمون في الصيف لرعي المواشي ومثل سهولها الشرقية في الشتاء والبان قطعانها من ادم ما ذاق الفائقون . ولو تمت امنية الفلاح القلموني بانتشار الامن في شعابه وحضاره في الفصول الاربعة لربح الفلاح كل سنة الارش قرشين من ماشيته فقط ومن كانت عنده المئة يجني المئين ومن ملك الالف جاءته الفان . ويرى الحبيرون بانه لا سبيل الى تقرير الامن في قلمون الا بوضع اربع مخافر الاولى في الصغير والثانية في الناصرية والثالثة في الحبيرة والرابعة في القرينين وان يجعل في كل واحدة منها - وفي

بعض باقلاع لا يواء الجند - خمسة وعشرون جندياً نظامياً فارساً (مفرزة) وبذلك يهرب اشقياء عرب البادية بأس الحكومة ويكفون عن السطو على ضعاف الاهلين كما احتلوا الغرة .

ولا تجد في قلمون غابات كماكثر جبال العالم بل هو جبل اجرد اقرع ولو صحت عزيمة سكاك لاكثره وامن زرع التين والكرم واللوز والجوز في الاراضي القرية من القرى ومن السنديان والبلوط في النجاد والشعاب . والظاهر ان فأس الخطاب واسنان الماشية انفتت زمناً طويلاً على تحريدها الجبل من اubarه وغاباته فلا تجد اشجار الا قرب القرى وقد تمضي الساعات ولا تجد اثرأ للزروع ولا للشجر

قال احد الاجانب ممن زاروا هذا الجبل مؤخراً كنت اتنى في - ياقني ان اشاهد جبلاً اجرداً من الكلاء والشجر فها قد قرئت عيني في قلمون بمدة ما كنت اريده من اجبال الجرداء اما ان سورة قتيقتي لو قرئت عينه بروية - بالله شجره ذات غابات غبراء وليست مياه قلمون شريجة عزيزة بل هي عذبة غزيرة كآحسن البلاد الجبلية ولكن منها ما يحتاج للانباض ولا عهد والعناية واذا توفر الاهلون وساعدتهم الحكومة قليلاً على توفير مياههم تزيد كميتها بحفر العيون والاقنية والانتفاع بالمياه والسيول حتى لا تضيق منها نقطة بلا فائدة . ومن هذه العيون ما يشفي الاوصاب ويتوي الاجسام ويساعد على هضم الطعام والاشربة . اما ما قرب من حرود الجبل حيث يكثُر نزول الثلوج وتبقى كل سنة ستة اشهر متراكمة في النجاد والوداد وابش مياه الجبل طعماً في معرونة وهي جمع من ماء السماء ولكن نعيمها اشد بالمخ الانكليزي بيد اننا اذا ثقلت في الطعام لا نثقل على الهضم وتندبحشنا في بعض قرى الجبل عن آثار حجرية مكتوبة او كتب مخطوطة شائعة فيها الى مواد تاريخية ينتفع بها لخاص سعيها اذ شاهدنا معظم اديار الجبل لا يترف اهلها من التاريخ الا تقايد يتناولونها بالانواء وهي لا تساوي شيئاً اذا وضعت على محك النقد واذا كانت الاديار خالية من مثل هذا فاحر بان تكون - اار المعاهد احدى - فدير صيدنايا لراهبات الروم هو بحسب ما شاهدنا من اقدم اديار الجبل وليس فيه تاريخ الدير نفسه وقيل لنا ان اهل الدير حرقوا باختيارهم منذ نحو قرن كتباً مسرياً كثيرة ولو ابقوا عليها لما خلت من فوائد كان القارئون عليها ينقرونها او يثاقون . ما اذ ذاك وهي انفع ما يكون للتاريخ اليوم وغاية ما فيه الا ان كتاب نسخته احدى راهبات الدير سنة ١٨٨٧ م واسمها نقلاً غزال ولم تذكر شيئاً عن الاصل الذي نقلت منه وهو حديث احدثاً ويفهم من مقدمه

وفيه شرح نقاليد كثيرة متعلقة بدير صيدنايا ان هذا الدير بني على يد يوستنيانوس الكبير ملك الروم في السنة الخامسة والعشرين من ملكه سنة ٥٥٣ ميلاد وذلك عند مروره في تلك البقعة فاخناها لانامة هذا الدير ليحمل محطة المصدي بيت المقدس من اهل القسطنطينية وغيرهم وفي هذا الكتاب امر لثعاني بقلي السيدة العذراء عليها السلام ليوستنيانوس حتى بني ديره وهو مثل ما يقوله المسلمون عن بعض معاهدهم . وهذه الزاوية لا يشق فيها التاريخ ولا تنطبق على النقل وتأخذها المتقدمون بالتسليم دون اعمال النظر فيها على ان الاحساس الديني يجب مراعاته مهما كان وحقائق العالم العصرية هي التي تحو وثبتت .

وفي الجبل اديار غير العامرة الآن في قارة وبيروود ومعولوا قد اصبحت اوى لليوم مثل دير مار شبرين ودير مار توما . بالقرب من صيدنايا كما تجد كثيراً من الزوايا (مقبور) مخفورة في الجبال . ومنها ما رآه في منين وعين صاحب ومعولوا والجبل الا قليلاً مثلاً : بمراته ولكنه مختلف بيئات سكا . ولجائهم فكل قرية لمحة خاصة بها وسنة يعرف بها اهلها فاهل معولوا لا يشبهون اهل عين الزينة واهل بيروود لا شيء بينهم وبين اهل الزينة . والظاهر من سمحات القلوبيين ان منهم اليعاقبة والسيربان ومنهم الروم والتركمان ومنهم العرب فاختلفت لهجاتهم باختلاف اصولهم وان كانت تراكيب بعض اسماء قراهم متشابهة مثل بيروود وجيروود ومرة ومرونة وعسال وعرسالي وجبة وجبعدين وفيلطا ونلقينا . وتلقينا هذه هي التي قال فيها صاحب المعجم انها كانت بلد قيسام الحارثي من بني الحارث بن كعب باليمن الغلب على دمشق في ايام الطائع وكان في اول عمره ينقل التراب على الدواب ثم اتصل برجل يعرف باحمد الخطار من احدث دمشق وكان من حربه ثم غلب على دمشق مدة فلم يكن للولاة معه امر واستبد بملكها الى ان قام من مصر يلكين التركي فغلب قساماً ودخل دمشق لثلاث عشرة ليلة بقيت من محرم سنة ٣٧٦ فاستمر اياماً ثم استأمن الى يلكين فقيده وحمله الى مصر ففعا . واطلفه .

ومن صنائع جبل قلمون وبجارة ثاية بعض قراء مثل الثل وحلبون وبيروود ومعولوا الب . في فاته تعمل فيها بسط غليظة ولكنها متينة يستعملها اهل الجبل والحارون لم من سكان القرى كما يحكيون انعام الجيد في هذه القرى . ولا جمال على حنائها ولكنها متينة جداً ورخيصة وقد لا يربح العامل قرشين في نهاره ومع هذا يجد نفسه سعيداً

بهذا المنذر الطفيف .

وهواه الجبل معتدل جداً وهو انفع لأكثر الاجسام من هواء لبنان البليل اقرب
 ذلك من البحر يورث النفوس نشاطاً ومضاءً وان الذكاء الفطري يغلب على سكانه وتساوى
 في ذلك سكان جروده وسهوله وقراه ومزارعه واسلامه ونصاراه وله سمع الحكومة
 يجد لاصلاح طرقه ومواصلاته والخطب فيها سهل جداً لكثرة اختلاف المصطفين اليه
 وخصوصاً سكان دمشق لان قلمون منها بمنزلة لبنان من يمدت . والعارق فيه عامرة
 بطبيعتها مثل طريق صيدانيا الى معلولا وطوله خمس ساعات واربعة واربعين معلولا
 الى بيروت وطوله ثلاث ساعات وطريق بيروت فانيك ندير عطية فقارة وهذا الطريق
 على طوله لو صرف عليه بضع مئات من الليرات لدارت عليه المركبات كما تسير على احسن
 الطرق المعبدة ولكن الحكومة في الدور الاستبدادي كانت لا تهتم من الادارة الا
 ان تسلب ائمة الفلاحين بطرقها المعروفة من تكثير الضرائب والعشور والرسوم وارهاق
 الفقير بالاعانات الكثيرة ولعل دولة الدستور تقوى في اقرب وقت فتجعل من مالها ووقتها
 نصيباً تصرفه في ترقية البلاد وتستعيد بعد سنين اضعافاً مضاعفة من اهلها وقد كانت
 حكومة الاستبداد ترى ان غناها بافقار الاهالي فالواجب على حكومة الدستور ان تعتد
 ان غناها من غناهم وسعادتها بسعادتهم

وان جبلاً كقلمون وهو جزء صغير من ولاية سورية وجزء اصغر من هذه المملكة
 العثمانية اذا حسنت ادارته ونظرت حكومته في عمرانه ليخرج من الخيرات ما لا يخرج
 مثله الجبل الاسود ذو البند والعلم وصاحب الملك والوزراء . وكيف يمر مثل قلمون
 اذا كان ولاية دمشق يقضون بها السنين الطويلة ولا يزورون معاهده ويتفقدون حالة
 اهله بل ان الفاتحين الذين طامسوا بناوبوا الحكم عليه لا يصححوا الا قبض رواتبهم
 واخذ ما يريدون اخذه من الاهالي واذا طافوا بعض قراه فللزخلة والناس الصحة والراحة
 لا لرفع ظلامه واقامة عدل وتحسين حال ويعتمدون في امورها على مشايخهم على غير
 علم كانوا ولم يزالوا عرفت كل ظالم والسعيد منهم من كان الجبل اغلب على قريته
 ليسوغ له ان يحكم فيهم حكماً قرع قوشياً ولا اغالي اذا قلت اليوم ان اهل قلمون
 لم يلقحهم حتى الآن رشاشة من نعمة الدستور على قريتهم من الحواضر ولولا بصبص
 نور بلائاً في عقول بعض اهل القرى التي يكثرونها المسيحيون والمدارس والمجرة
 لكان قلمون كما كان منذ مئات من السنين .

وهنا رأينا ان نغتم هذا الفصل بقصيدة للامير عبد النادر الحسيني الجزائري قالها وقد سأله بعض الفرنسيين اي العيش اريب عيش الخلاء واليدأوة ام عيش المدن والحضارة وقد كنا زرد اكثر اياتها في رحلتنا واكثرها مما يصدق عليها لما سمعنا بها مع الحالة التي كنا عليها في الجبل من الصحة وفراغ البال قال رحمه الله :

يا عاذراً لأمري قد هام في الحضر
لا تذهبن يوماً خف محملها
لو كنت تعلم ما في البدو تعذرفي
لو كنت أصبحت في الصحرا تمر على
أوجلت في روضة قد راف منظرها
أستشقن تسمياً طاب منشقاً
أو كنت في صبح ليل هاج دأته
رأيت بنة كل وجه من بساتنها
فيالما وقفة لم تبق من حزن
نباكر الصيد عدد الغير نبغته
فكم ظلمنا ظالمًا مع نعمته
يوم الرحيل إذ شدت هوداجنا
فيها المذارى وفيها قد جعلن كوى
تشي الحداة لما من خلقها زجل
ونحن فوق جبال الجبل تركضها
نطارده الوحش والغزلان نلغها
نروح لحي ليلاً بعد ما نزلوا
نرايا السك بل انق وبادبها
نلقى الخيام وقد صفت بها نفدت
قال الاولى قد مضوا قولا وحده
« الحسن يظهر في شيبه رونقه
وعاذلاً لحب البدو والفقر
وتمدحن بيوت الطين والحجر
لكن جهل وكم في الجهل من ضرر
يساط رمل به الحصباء كالدرر
بكل لون جميل طيب عطر
يزيد بنة الروح لم يبرر على قدر
شأوت بنة مربوب أوت بالشار
سرباً من الوحش يرى اطيب الشعر
في قلب مضى ولا كدأ لذي ضجر
فالصيد منا ممدى الاوقات في دعر
وان يكن طائرًا في الجو كالصخر
شقائى تمها من بين المطر
مرقعات باحداق من الحور
اشمى من الناي والسنطير والوتر
شليلها زينة الاكفال والحضر
على البعاد وما تنجو من الضمر
مازلا ما بها لطح من الوضر
صوب الغمام بالأصال والبكر
مثل السماء زمت بالانجم الزهر
تقل وعقل وما لفق من غير
بيت من الشعر او بيت من الشعر »

(١) في رواية : « لو كنت أصبحت في الصحراء مرتقياً » الى آخر البيت

انعمنا ان انت عند العشي تكل^(١) اصواتها كدوي الرعد بالبحر
سفائن البر بل انحنى لراكبها سفائن البحر كم فيها من الخطر
لنا المهارى وما للريم سرعتها بها وبالخيل نلنا كل مفتخر
نحيلنا دائماً للحرب مسرحة من استغاث بنا بشره بالظفر
نحن الملوك فلا تعدل بنا احداً واي عيش ابن قد بات في خفر
لا نحمل الضيم من جارف تركه واراضه وجميع العز في السفر
وان اساء علينا الجار عشرته زين عنه بلا ضر ولا ضرر
تبیت نار القرى تبدو لطارتنا فيها المداواة من جوع ومن خصر
عدونا ماله ملجأ ولا وزر وعندنا عادات السبق والظفر
شرابنا من حليب لا يخالطه ماء وليس حليب النوق كالبحر
اموال اعدائنا في كل آونة نقضي بقسمتها بالعدل والقدر
ما في البداوة من عيب تدم به الا المروءة والاحسان بالبدر
وصحة الجسم فيها غير خافية والعيب والاراء مقصور على الحضر
من لم يمت عندنا بالطنع عاش مدى فنعن اطول خلق الله في العمر



(١) في رواية : « اموالنا اذ تروح بالعشي علب » الى آخر البيت